المشرق

اديرة مصر الاولى للقديس باخوميوس

للباحث المدقق الاب ميشال جوليان اليسوعي

لمَّا استأثر الله في القرن الرابع بذلك الناسك الشهير القديس باخوميوس كان انطونيوس الكبير ابو الرهبان لم يزل في قيد الحياة فقال عنهُ لبعض تلامذته ممَّن قدموا عليه ليقتدوهُ في البريَّة: « لما أَلهمني الله الترهُّب لم يكن بعدُ اديرةٌ يجتمع فيها الرهبان تحت قيادة رئيس يُعنى بامرهم بل كان العبَّاد ينقطعون الى المعيشة النسكيَّة كل واحد بمعزل عن غيره حتى قام ابوكم باخوميوس وباشر هذا العمل الخطير بايده تعالى (١ »

فهذا لعمري ثناء طيب على منشئ الاديرة الاولى في مصر . ولبيان فضل باخوميوس هاءنذا ألخص تاريخ العيشة الرهبانية قبل زمانه

العلم انَّ التنسُّك ظهر في الكنيسة منذ اوائل عهدها. فانَّنا نرى في التاريخ البيعي قومًا من افاضل الرجال والنساء يزهدون بالدنيا وينقطعون الى عبادته تعالى متجردين من كلّ مال العالم وملاذّه الباطلة وكان هؤلاء الزهَّاد يعيشون في المدن او جوارها ويمارسون اعمال البرّ في الخلوة وقد عُرفوا لذلك بالمتروِّضين (ascètes) لمزاولتهم عمل الصلاح

بيد انهم لم يلبثوا ان وجدوا في عيشتهم هذه عوائق تصدُّهم عن بلوغ الكمال فعمدوا الى العزلة في البراري والقفار كما فعل القديس بولا المصري في القرن الثالث للمسيح . وهكذا نشأ الحبساء (anachorètes) وانتشروا في البلاد

ولمَّا كانت العزلة التامَّة لا تخلو من الاخطار رأى الحبساء ان يقرّبوا محابسهم من

---

١) راجع اعمال القديسين للبولنديين الجزء الثالث من ايَّار العدد ٢٧

جمعية احد المتقدمين ممن يعرفونهُ راسخًا في الكمال مختبرًا في السياسة الروحيَّة ليتفرَّغوا تحت قيادتهِ الى اعمال النسك والتعبُّد . فكانوا يجتمعون عندهُ في اوقاتٍ معلومة ليصلُّوا معهُ ويسمعوا ارشاداتهِ التقويَّة وربَّما كانوا يشيدون بقربهِ أنبارًا يودعونه مؤنتهم ولوازم معاشهم . لكنَّهم كانوا يقضون حياتهم في تلاليهم الخاصَّة كما يسنح لكل منهم خاطرهُ . وهذا الصنف من المتنسكين شاع مدَّة من الزمن وكان يُعرف بفئات الجبناء وجماعات المعتزلين . وهكذا عاش القديس انطونيوس وتلامذتهُ في اول امرهم . وعلى هذا المنوال تعبَّد النساك الاوَّلون في بلاد فلسطين

امَّا القديس باخوميوس فنظَّم هذه العيشة الرهبانيَّة وجعل تلاليَّ الرهبان ضمن سور يحدق بها ويصونها بحيث يعيش اصحابها عيشةً متساوية فيخضعون لقانون واحد يسهِّل عليهم تتبُّع المشورات الانجيليَّة وينقادون الى اوامر رئيس واحد يتولى تدبيرهم . فتلك هي الاديرة (couvents) والديريون من يعيشون فيها عيشة اشتراكيَّة (vie céno-bitique) . فمصر كانت اذًا اوَّل مهد لهذه الحياة الرهبانيَّة التي ازهرت حتى اذواها سموم الهرطقة اليعقوبيَّة الَّا انها لم تذبل في أرض الزراعة مصر قبل ان امتدَّت فروع هذه الشجرة فنبتت ونمت في انحاء اخرى من المعمور لاسيَّما في بلاد الغرب بهمَّة القديس بناديكتوس . وانما الفضل في ذلك عائد الى القديس باخوميوس

امَّا الاديرة التي اقامها هذا القديس فهي تسعة اديرة للرجال وديران للنساء . وموقعها كلها في وادي النيل بين اخميم شمالًا وأسنة جنوبًا . ولمَّا كانت الآثار المسيحيَّة في مصر ممَّا يهمُّنا البحث عنهُ اردنا ان نفتش لعلَّنا نجد شيئًا من بقايا هذه الاديرة لتعريف خواصِّها وطريقتها الهندسيَّة . وممَّا نعلم من امر بنائها انَّ باخوميوس اقامها في ظهراني القرى بين فلاحي مصر في السهول التي تطغو فوقها مياه النيل في وقت فيضانهِ . ولذلك قد عملت فيها يد الخراب في كرور الاعصار وبسطت مياه النيل طبقةً من طينها اللزج على جدرانها واطلالها

وقد اتخذنا لابحاثنا عن هذه الاديرة ادلَّةً امينة ألا وهي تراجم القديس واعمالهُ التي كتبها المؤرخون وكذلك اخبار تلميذهِ تاودوروس (او تادروس) وسيرة شنودي وغيره من الرهبان الذين انتسبوا بطريقة القديس باخوميوس وانتسبوا اليه

واعلم ان ترجمة حياة القديس باخوميوس على ثلاثة اصناف : (الاولى) هي الترجمة

اليونانية كُتبت بعد وفاة تادروس بزمن قليل سنة ٣٦٥ تجدُها في اعمال البولنديين (ج ٣ من أيار ص٢٩٢) وقد ألّفها احد الرهبان الذي لم يعرف القديس لكنهُ جمع اخبارهُ من فم تلامذتهِ ومعاصريه. ومن اعمل فيها نظر الانتقاد وُجد انها شاهد صدق ودليل ثبت يوثق بهِ. (والثانية) هي الترجمة القبطيَّة كُتبت اولًا في اللغة القبطيَّة الصعيديَّة نقلًا عن الترجمة اليونانيَّة لافادة الرهبان الذين لم يفقهوا هذه اللغة. لكنَّ الكاتب وهو راهب من رهبانيَّة القديس باخوميوس اطلق العنان لمخيلتهِ فزاد على الاصل عدة تفاصيل غريبة وفقًا لما كان يعهدهُ في الاقباط من الرغبة في عجائب الامور. ثم نُقلت هذه السيرة الى اللغة القبطيَّة المنفيَّة (راجع المشرق ٣: ٨٩٤) لخدمة رهبان ادبرة نيتري ولا يُعرف منها الّا نسخة واحدة جاء بها العلامة السمعاني من دير نيتري وهي مصونة في المكتبة الواتيكانيَّة. (والثالثة) هي السيرة العربية نُقلت اليها بعد الهجرة بزمن طويل في القرن الرابع عشر. وهي مأخوذة عن التراجم السابق ذكرها وعن پالّاديوس وغيرهِ من الكتبة وليست ثقتنا بها كثقتنا بالتآليف الاولى (١

كانت ولادة باخوميوس سنة ٢٩٢ للمسيح في بعض مدن الصعيد وكان ابواهُ وثنيَّين. فلمَّا بلغ العشرين من عمرهِ اضطرَّهُ الولاة الى ان يكتتب في الجنديَّة فاركبوه مع الرديف فلمَّا نزل بهم الى مدينة اسنة. وكان هناك قومٌ من النصارى رأوهُ ورفقتهُ في هذه الحالة السيئة فحنُّوا لشبابهم ورثوا لاوجاعهم وساعدوهم في حاجاتهم. فعمل في قلب باخوميوس مثل هؤلاء المحسنين وتعجَّب من حسن صنيعهم اليهِ مع انهم لم يعرفوهُ واستفسر عنهم فقيل لهُ انهم النصارى يطلبون بذلك وجه الله ممتثلين اوامر إلههم المسيح ابن الله الوحيد. فاحبَّ باخوميوس ان يدين بدين يعلّم اصحابهُ مثل هذه التعاليم السامية وان يقتدي بسيرتهم. ثمَّ ما مرَّ على الجند مدَّة حتى أطلق سراحهم فعاد باخوميوس الى وطنهِ وتفقَّه في مبادئ الدين المسيحي واصطبغ بمياه المعمودية

---

١) تولى المسيو اميلينو (Amélineau) طبع ترجمتي القديس باخوميوس القبطية والعربية (Annales du Musée Guimet, T. XVII, *Paris* 1889). لكننا لم نرَهُ منصفًا في ما استنتجهُ من النتائج الباطلة في حق هذا القديس. بخلاف الخوري لادوز (Ladeuze : Etude sur le cénobitisme pakhomien, *Fontemoing*, *Paris* 1898) الذي اصاب في حكمهِ عن اعمالهِ وبيَّن فضلهُ العظيم

١ كينوبُسكيون او شنيت

واول بلدة نزل فيها باخوميوس كان اسمها كينوبسكيون وبالقبطيَّة شنيت وهي تُعرف اليوم بقصر الصيَّاد على ضفَّة النيل الشماليَّة بازاء «تاج حمادي» واختيارهُ هذا المكان للتنسُّك حمل بعض الكتبة الى القول انَّ مولدهُ كان فيهِ. وليس الامر بثابت. واحتلَّ القديس في خربة كان الاهلون يدعونها هيكل سيرابيس وقضى فيها ثلاث سنوات ثم انتقل الى مسافة قريبة من القرية حيث وجد شيخاً جليلاً وناسكاً فاضلاً يدعى پاليمون طلب منهُ ان يرشدهُ في طريق الزهد فنعل والبسهُ الاسكيم الرهبانيَّ

ولمَّا الهم الله الى القديس باخوميوس ان ينشئ الاديرة المنظَّمة واقام ديريه الاوَّلين في تابنَّة وفاو قدم عليهِ من شنيت عابدٌ قديس اسمهُ إبرنة كان رئيساً على جماعة من الرهبان الحبساء فتوسَّل اليهِ ان يقبلهُ ورهبانهُ في طاعتهِ ويجعل مقامهم ديراً على طريقته المستحدثة. فاجاب باخوميوس الى طلبتهِ واتى معهم الى شنيت واقام هناك ديراً قانونيًّا اضحى بعد زمن قليل من اشهر اديرة القديس باخوميوس واعظمهم شأناً واكثرهم رهباناً ورئيس هذا الدير الانبا هورسيسي خلف القديس بعد وفاتهِ في تدبير الرهبانية كلها (١

قلنا انَّ شنيت كانت تدعى ايضاً كينوبُسكيون وهي لفظة يونانيَّة معناها مرعى الاوزّ. فظنَّ علماء العاديَّات انَّ المصريين كانوا يربّون الاوزّ في هذا المكان. وكان للاوزّ عند قدماء المصريين اعتبار عظيم يقدّمونهُ لموتاهم ولآلهتهم (٢. وقد جاء في «دليل انطونينوس» اسم كينوبُسكيون. وروى في كتاب «تعريف الدولة» (Notitia Imperii) انَّ كتيبة من الفرسان كان مقامها في هذه البلدة. امَّا اليوم فهي ضيعة كبرى يسكنها القرويون لم يجد فيها العلماء من الآثار غير كتابات قليلة باليونانيَّة ليس تحتها كبير امر

والرحلة الى كينوبُسكيون تكون امَّا بالسكة الحديديَّة فينزل المسافر في محطَّة

١) راجع الترجمة اليونانيَّة في البولنديين (عدد ٧٦) والترجمة القبطية (ص ٧١) والترجمة العربية (ص ٣٧٩)

٢) والاوز كثير الى يومنا في قرى الصعيد. اما البطّ فنادر

دُبة راماً بالسير على النيل وهذه الطريق افضل من الاولى وإياها اتبعنا فركبنا سفينةً بخاريّة اقلّتنا الى قصر الصيّاد التي بُنيت مكان كينوبُسكيون. فما نزلنا فيها حتى تعقّبنا ردسها علّنا نجد شيئاً من الآثار التي تنبئنا بمجبسة القديس باخوميوس في هذه البلدة لما سكنها كناسك عالميّ منفرد او تهدينا الى ديرهِ الذي اقامهُ بعدئذٍ. لكنَّ هذه الاطلال الباقية لم تُجدِنا نفعاً لما استولى عليها من التقلّب والخراب. فقصدنا وجوه البلدة لننشد عندهم ضالّتنا فلم يُحيروا جواباً لجهلهم تاريخ اجدادهم. فاردفنا قولنا سائلين: ألا تعلمون اين هو دير الانبا باليمون ؟

فما سمعوا اسم باليمون حتى صرخوا بصوت واحد: ديرهُ قريب من الضيعة لا يبعد عنها سوى ثلث الساعة فسيروا مع القناة المتجهة الى الشرق تجدوهُ

فاستأنفنا للحال مسيرنا ورأينا بعد قليل على ضفّة القناة الشماليّة قُبباً بيضاً حسنة المنظر تعلو سوراً عالي الجدران فعرفنا انهُ هو دير الانبا باليمون

فلمّا اقتربنا منهُ وجدنا حولهُ قبوراً وكان عند بابهِ قوم على وجوههم امارات الحزن والكآبة تألّبوا هناك ليودعوا اللحدَ ميتهم. فخفنا ان يعيقنا اجتماعهم عن زيارة الدير وفحص آثارهِ. لكنّنا ابتدرناهم بالسلام فاجابوا بكلام الأُنس والترحيب ثم اقبل احد الكهنة الينا وعرض ان يكون دليلاً في زيارة الدير. فشكرنا لهُ لطفهُ وتبعناهُ فأفادنا بادئ بدء انَّ الرهبان لم يقيموا في هذا الدير وانّما هو مزارٌ يأتي اليهِ الاقباط ليتبركوا بزيارتهِ ويسكنهُ كاهنان عالميّان من الشيعة اليعقوبية

وفي ضمن هذا الدير ثلاث كنائس: الاولى مخصّصة لذكر الشهيد القديس مرقوريوس المعروف عند الاقباط بابي سيفين. وهي اجمل الثلاثة واقدمها وفيها كان الحضور اوشكوا ان يقيموا الجنّاز. اما هندسة هذه الكنيسة فبسيطة جدًّا تشبه كثيرًا من الكنائس القبطيّة المشيّدة في بلاد الصعيد. فلها سوقان وجهتُهما من الشمال الى الجنوب تعلوهما القُبَب العديدة المستندة الى سوارٍ مربّعة مركوزة على مسافات متساوية. وترى للكنيسة في شرقيها سوقاً ثالثة تشبه السوقين الاوليين لكن لكلّ قنطرة منها معبدًا مقفلاً في جانبيهِ مطلًّا على السوقين السابق ذكرهما. والمعابد خمسة والمتوسّط بينها هو اكبرها ترى فيهِ الهيكل داخلاً في الجدران مزدانًا بضروب الزين وعليهِ تقام الذبيحة والفروض الدينيّة عادةً. اما المعبدان اللذان في الطرف وقناطر السوقين الواجهتين لهما

فيصلّي فيها النساء ولها الحواجز (الشعريّات) من الخشب المصلّب او من الآجر. ومدخل الكنيسة الكبير بازاء الهيكل. ولحظنا انّ بُناة الهيكل المذكور لمّا ارادوا توسيعهُ كبّروا حنيّتهُ حتى اخرجوها عن سور الدير

والكنيسة الثانية اقيمت تذكاراً للقديس باليمون وهي على مثال الاولى لا تختلف عنها رسماً وانّما سواريها واطئة وقناطرها متوسّطة بخلاف كنيسة الشهيد مرتوريوس حيث السواري عالية والقناطر بيضويّة الشكل

امّا الكنيسة الثالثة فانها معبد قبط بُني اكراماً للعذراء مريم عليها اشرف السلام وقد أُقيمت فوق سطح الدير

وكان دليلنا يزعم انّ هذه الكنائس مع الدير المكتنف بها يرتقي عهدها الى زمن القديس باخوميوس. بيد انّ ذلك وهم لم نحاول تفنيدهُ لعلمنا انّ الجدال مع مثلهِ لا يجدي نفعاً. وحجّتنا انّ الكنائس التي شُيدت في الصعيد في القرنين الرابع والخامس تشبه في هندستها الطريقة البوزنطيّة البديعة ورسمها اقرب الى الكنائس اللاتينيّة. وعلى رأينا انّ كنائس هذا الدير بُنيت بعد ذلك بزمن مديد اعني بعد الفتح الاسلامي حين فشل الاقباط واستولى عليهم الفقر فلم يعودوا يتأنقون في تشييد كنائسهم ولذلك لا تكاد ترى في هذه الابنية الّا نقوشاً قليلة ساذجة وبعض الاخشاب البسيطة (١

على أنّنا لا ننكر انّ لهذا الدير شأناً خطيراً فلا مراء انهُ أُقيم للدلالة على مكان مقدّس عرفهُ النصارى الاقدمون فبالغوا في اكرامهِ. ولعلّهُ هو المحلّ الذي سكنهُ باخوميوس لمّا هجر منزلهُ الاوّل ليتتلمذ للقديس باليمون. وما ادرانا انهُ هنا كان دير بشنيت الذي ورثهُ باخوميوس من ابونة الرئيس الذي سبق ذكرهُ (ص ٥٨٠). وقولنا هذا مع كونهِ محمولاً على الحدْس والتخمين قريب من الصواب يدلُّ عليهِ اسم الدير المعروف بدير الانبا باليمون. ثمّ انّ ما ورد في ترجمة القديس باخوميوس من الإفادات والاوصاف ينطبق على هذا المكان بنوع حسن

---

١) ولعلّ احداً يعترض علينا بقولهِ انّ منظر كنائس الانبا باليمون يدل على انّها عريقة في القدم. أجبنا ان الحق كثيراً ما يخدع في تعريف زمن الابنية. مثال ذلك كنيسة ديانة شمالي هيكل ايدوس التي يظنّها الناس قديمة جداً مع انها بُنيت قبل ٣٠٠ سنة فقط

٣ دير فاو

لم يمرّ على القديس باخوميوس سوى بضع سنين بعد انشائهِ دير تابنّة حتى كثر عدد تلاميذهِ واضطرّ الى ان يبني لهم ديرًا آخر اقامهُ في قرية على قول البعض وفي محلّ قفر على زعم غيرهم شمالي تابنّة في مكان يدعى بافوا (١. امّا اسم الدير الجديد فقد اختلف الكتبة في كتابتهِ. فانّ ترجمة القديس اليونانيّة تدعوهُ پرو (Πρου) والترجمة القبطيّة فبور (ⲡⲓⲃⲟⲟⲣ) والعربيّة فار. وزاد هذا الدير رفعًا وجعل فيهِ القديس باخوميوس مقامهُ حتى صار مركز بقيّة ادیرتهِ

فاخذنا نفتش ضالّتنا فقيل لنا انّ في شرقيّ قصر الصيّاد على مسافة ١٢ كيلومترًا قريةً كبرى تدعى فار فيها آثار مسيحيّة جليلة. فاستفزّنا الطرب لهذا الخبر وودّعنا الكاهن الذي تلطّف ودلّنا على دير الانبا پاليمون ثم توجّهنا الى القرية المنوّه بها فكان سيرنا اولًا على مجرى القناة ثم بقرب السكة الحديدة حتى وجدنا في وسط الحقول طريقًا تبعناها فادّت بنا الى القرية المقصودة

وكنا في اثناء طريقنا نسرّح البصر في الجبال المنتصبة امامنا. وهي السلسلة المعروفة بالعربيّة ذات الصخور الشديدة البياض. وقد نُقر في هذه الصخور مدافن عديدة كنّا نرى مداخلها عن بعد. قيل انّ عهدها يرتقي الى زمن الفراعنة حتى الدولة السابعة. والى هذه المدافن كان يتردّد الحبساء الاقدمون كالقديسَين پاليمون وباخوميوس ليعتزلوا عن الناس ويستجرّوا في صلاة الله. وكانوا قدّسوا هذه المغاور برسم اشارة الصليب فوق ابوابها ومنهم من كتب عليها الآيات التقويّة وكتابات أُخر في القبطيّة. ولولا ميل النهار الى الغروب لكنّا توقّفنا في الجبل لزيارة هذه القبور

ثمّ انفسحت بعد مدّة امامنا السلسلة الجبليّة وانبسط سهل متسع الجوانب كثير الخضرة ذو حدائق غنّاء في وسطها القرى والمزارع حتى بلغنا آخرًا بلدة فار وهي عبارة عن قريتين يفصل بينهما غديرُ ماء. وهما فار القبلي جنوبًا وفار البحري شمالًا فنزلنا في الاولى التي لقيناها في طريقنا. فما رآنا نصارى القرية حتى خفّوا لاستقبالنا ولمّا عرفوا ما غايتنا من زيارة محلّتهم ذهبوا بنا الى طرف ضيعتهم شمالًا فاروما في الحضيض عدّة

١) تراجع الترجمة القبطيّة (ص ٧٠)

عواميد من الحجر الصوّان مطمورة في الارض واعلمونا انّهـا بقايا كنيسة القديس باخوميوس

فانعمنا النظر في هذه الآثار واستدللنا من كثرتها وعظمها وحسن نقوشها انّهـا كانت في الزمن الغابر كنيسة بديعة لكنّنا لم نتمكن من معرفة هيئتها وسعتها وقبلتها الى غير ذلك من العلامات التي تشير الى هندستها. والجدران الباقية منها كلها مطمورة لا يُنظر شيء منهـا. بيد انّهُ قد جاء ذكر هذه الكنيسة في تاريخ الشيخ ابي صلح الارمني (ص ١٣١ من طبعة اوكسفرد) احد كتبـة القرن الثالث عشر قال: «الناحية المعروفة بفاو من الصعيد الاعلى بها دير وبيعة على اسم القديس ابو (كذا) بخوم وهذه البيعة كبيرة متسعة طولها مائة وخمسون ذراعاً وعرضها خمسة وسبعون ذراعاً وهي الآن قد تشعّثت وجميع الصور التي فيهـا كانت فص زجاج مذهّب وملوّن وعمدها رخام هدمها الحاكم (بامر الله)»

ولا نشكّ انّ اعمدة الصوّان التي في هذه الكنيسة أُخذت من احد هياكل الاصنام المهجورة بعـد الحكم الذي اصدرهُ تاودوسيوس الكبير في ابطال عبادة الاوثان. وقد أيّد رأينا هذا عمودٌ وجدناهُ في اثنـاء بحثنا قريباً من هناك عند مدخل القرية وكلهُ مكتوب بالقلم المصري القديم

امّا القرية الثانية التي موقعها شرقيّ الكنيسة فانّ الآثار المسيحيّة فيها عديدة وكلها اخربة لاديرة بناها الرهبان المنتسبون للقديس باخوميوس منها قطع عواميد ورؤوس اكلة قريبة من الطرز الروماني (style roman) وهناك من نحيت الحجارة ما لا يُحصى تراها مبثوثة فوق الحضيض وفي طرق البـلدة وقد اتخذ الفلاحون منها قسماً لبناء بيوتهم. وبينما نحن نتجوّل بين هذه الاطلال اذ رأينا قرب جامع هناك حجراً عليهِ كتابةٌ يونانيّة وهو غائص في الردم. فلم تزل نلاطف اصحاب المكان حتى رخّصوا لنا بنزع الحجر من محلّهِ فاذا في وسطهِ صليبٌ حسن الشكل يحدق بهِ تاجٌ جميل وتحت الصليب كتابة لم يمكنّا اخذ رسمها لانّ اهل الضيعة كانوا اجتمعوا حولنا ولعلّهم ظنّوا اننا حفرنا لنستخرج الكنوز المدفونة هناك ومما قرأناهُ في هذه الكتابة اسم ΠΑΝΥΤΙ (پانوتي) وهو اسم الوكيل العامّ الذي اقامهُ القديس باخوميوس في دير فاو كما يُروى في سيرتهِ

هذا ولولا ما جاء في التاريخ من وصف هذا الدير لما امكن أن نتصوّر هيئتـهُ

١ دير الأنبا بيشوى في وادي النطرون ٢ كنيسة دير الأنبا بيشوى ٣ كنيسة أبي سيفين في دير الأنبا بيشوى ٤ أخرى دير نفس

القديمة . وهذه خلاصة ما عثرنا عليه في التآليف القديمة . كان للدير سور كبير مرتفع الجدران ولا يُدخل اليه الّا من بابٍ واحد . وكانت قُبب الكنيسة محلّقة في الفضاء يراها القادمون من مسافة بعيدة بين سعوف النخل التي تتهادى في الجوّ

وكان الزائر اذا دخل الدير يجد اولًا منزل الضيوف والغرباء ثمّ قريبًا منها المعامل العموميّة كالطبخ والمطعم والتنور وغير ذلك من المصانع ثمّ منتدى الرهبان ومجلسهم العمومي ثم الكنيسة تفوق الابنية كلها علوًّا واحكامًا ثم اخيرًا مقام الرهبان وهو عبارة عن بيوت شتى فيها قلالي متعدّدة يسكن كل راهب واحدة منها مع ردهة عظيمة يجتمعون فيها لاشغالهم العموميّة . وكان من يعتبر هذه الابنية العديدة يجد انها اشبه بقرية تخطها الازقّة والشوارع وتزينها البنايات المنتظمة بينها جنائن صغيرة يقوم الرهبان بفلاحتها . وللاقباط حتى اليوم في برّية نيتري ادیرة تمثّل لنا شيئًا من احوال هذا الدير القديم منها مأهولة يسكنها الرهبان وهي دير مار انطونيوس ودير مار بولا بجوار بحر القلزم ودير المحرّق بقرب منفلوط ومنها مهجورة لا تزال ابنيتها ماثلة

وكان عدد الرهبان الذين تنسّكوا لله في هذا الدير بعد وفاة القديس باخوميوس وفي عهد خلفهِ هورسيسي بلغ نحو ٦٠٠ راهب يفيدنا ذلك الاسقف امون في رسالة كتبها للبطريرك تارفيل (١ قال: انّ عدد بيوت الرهبان ٣٥ بيتًا يأوي في كل بيت نحو ٢٤ راهبًا . وكان لكل بيت متقدّم يتولى امر رهبانهِ ويخضع للرئيس العام

وقد روى صاحب ترجمة القديس باخوميوس العربيّة خبرًا عجيبًا يبيّن اتقنة القديس من البنايات الجليلة المنظر قال (ص٦٣٢): انّ القديس باخوميوس لمّا اراد بناء كنيسة الدير واقام فيها الاعمدة العظيمة تأثّر من جمالها وخطورة مشروعهِ فاحسّ بشاعرة المجد الباطل فامر من ساعتهِ الرهبان ان يربطوا الاعمدة بالقلوس والحبال ويسحبوها الى ان يختلّ نظامها بعض الخلل ولمّا تمّ عملهم ابتنى السقف فوقها وانتهز هذه الفرصة ليوصي تلامذتهُ بالّا يتأنقوا في بنايتهم ويكتفوا بالعمارات البسيطة

قلنا سابقًا انّ القديس باخوميوس بعد انتهاء دير فاو جعل فيهِ مركز الرئاسة العموميّة واتخذ منذ ذاك الحين في تدبير الرهبان ما شاع بعده من النظام والسياسة اعني انهُ جعل رئيسًا عامًّا على كل الرهبنة ورؤساء خصوصيين يطيعون للرئيس العام . وكان

١) راجع اعمال القديسين للبولنديين الجزء الثالث من ايّار ع ١١,٢,١

بقرب الرئيس العام وكيلٌ يتولى تدبير الرهبنة في احوالها الزمنيَّة يدعى ايكونومس اي مقتصدًا. وهذه الهيئة النظاميَّة دخلت بعد ذلك في الغرب جرى عليها اولًا رهبان كلوني (Cluny) في القرن الحادي عشر ثمَّ شاعت حتى صارت اليوم تعمُّ كلَّ الرهبانيَّات الجديدة

وكان الرهبان كلهم يجتمعون مرَّتين في كل عام في دير فاو. فكان الاجتماع الاوَّل يُعقد في عيد الفصح ليقيم الرهبان الاسرار المجيدة بما امكنهم من الأبهة والرونق ويسمعوا ارشاد الرئيس العام. وكانوا يعتمدون في ذلك الوقت الرهبان الموعوظين الذين لم يصطبغوا بالعماد قبل تلك المدَّة. امَّا الاجتماع الثاني فكان موقتهُ في ٢٠ مسري (١٣ آب) للنظر في امور الاديرة الزمنيَّة ولتوثيق عرى المحبَّة بين الرهبان. وكان الرؤساء الخصوصيون يؤدُّون وقتئذٍ الحساب للوكيل العام. ثمَّ كان الاخوة يتسامحون بالذنوب ويقبِّلون بعضهم بعضًا بقبلة السلام (١. وكان الرئيس العام ينتهز تلك الفرصة لتغيير الرؤساء اذا وجد داعيًا لذلك ولكي يجرِّدهم عن التعلُّق المفرط بديرهم لئلا يظنُّوا انهم اصحاب ملك لا وكلاء عليه (٢

وهنا يحقّ بنا ان نبدي شعائر العجب اذ نرى في كنيسة فاو العظمى نحو خمسة آلاف راهب (٣ نبذوا العالم وملاذَّهُ واجتمعوا هناك تحت طاعة رئيس واحد ليخدموا الله ويتجرَّدوا للآخرة. فلعمري انَّ هذا الفكر اثَّر فينا اي تأثير اذ كنَّا نطوف بين هذه الآثار المندثرة

وفي هذا الدير قد توفَّى الله عبدهُ باخوميوس سنة ٣٤٦ فقام باسر جنازته تابعهُ وتلميذهُ تاودوروس (تادرُس) ودفنهُ في الجبل المجاور للدير. ثمَّ نقلهُ خفيةً الى محل آخر كما كان القديس اوعز اليهِ وكان يأتي ليلًا ويصلي عند قبرهِ الجديد دون ان يعلم بهِ احد من الاخوة (٤

---

١) راجع مقدمة القديس ابرونيموس على قانون القديس باخوميوس (ع ٨) ومجموع اعمال الاباء اللاتيني لمين (١ المجلد ٢٣) ٢) راجع الترجمة القبطية (ص٢٣٣)

٣) هذه الرواية الصحيحة كما ذكرها كاسيان في كتاب رسوم الرهبان (De ccenobiorum constitutione XI c. 1) امَّا القديس ابرونيموس فبلَّغ هذا العدد الى خمسين الفًا وظن انَّ الصواب ما ذكرهُ كاسيان

٤) راجع الترجمة القبطيَّة (ص ٣٦٢)

وكانت وفاة تاودوروس المذكور في فاو ايضاً سنة ٣٦٨ دُفن في الجبل ثم نقلهُ ليلًا الانبا هرسيسي ودفنهُ في جانب ابيهِ الروحي القديس باخوميوس (١

ومن هنا يتَّضح لنا انَّ الرهبان كانوا اعتادوا دفن موتاهم في الجبل لئلا يضرَّ بهم فيضان النيل . ولنا على ذلك شاهد آخر وهو مثال راهب كان اوشك على الموت في أيام فيضان النيل فاخذ اخوتهُ يتضرَّعون الى الله ان يُنسيَ في اجلهِ لئلا يضطروا الى خوض المياه عند نقلهم جسده الى جبل

وقد بقي مدفن القديس باخوميوس مجهولًا الى يومنا هذا ولعلهُ في احدى المغاور بين الصخور التي كنَّا نشاهدها في الجبل شمالًا وشرقًا . لكنَّنا نرجح كون قبره في الرمل المتجمِّد الذي يعلو فوق السهول المجاورة للنيل عند حضيض الجبل . فان العامَّة تدعو هذه الكثبان الرمليَّة جبالًا . وكان النصارى في كل الاعصار يدفنون موتاهم في هذه المقابر كما ترى في ارباض اسنة واخميم والبهنساء وغيرها ايضًا (ستأتي البقيَّة)

الامراض العينيَّة

المسبَّبة عن امراض الاسنان

الدكتور البارع شاكر بك الخوري احد اساتذة المكتب الطبي الفرنساوي

قدَّمهُ للمؤتمر الطبي الذي عُقد في بيروت في ١٨ ايَّار ١٩٠١

قد وقفتُ في هذه الأيام الاخيرة على مشاهدات عديدة بيَّنت لي باجلى بيان ما من العلاقة بين امراض العين وامراض الاسنان والفم بحيث لم يبقَ موضع للشك في ان عِلَل الاسنان تسبِّب للعين ادواء مؤلمة

فاحببتُ ان اجمع هنا ما لحظتهُ من الارتباط التشريحيّ الموجود بين العين والاسنان وما عاينتهُ من المشاهدات لرغم معاطس بعض الاطباء الذين يرضون العمى ولا الاقرار

(١ راجع الترجمة ذاتها (ص ٢٧٦)